

حرف الزاى

١٤٤ - زيدان أبو المعالى ابن السلطان أبى العباس أحمد المنصور الذهبى
فخر الملوك السعديين.

حاله: فقيه علامة مشارك متضلع نقاد شهم، أديب بارع، شجاع عالم
بمكايد الحروب وخدعها، ذو مروءة ومثانة، دين جامع لخصال الفضل والكمال،
ولكنه غير محظوظ ولا متوقف فى الدماء ولا مبال بالعظائم، كثير المراء والمجادلة
استخلفه والده على مكناس وتدلا وأحوازاها فأحسن السيرة قال ابن القاضى فى
الدرة: «ولاه والده أبقاه الله تعالى مكناسة وهو أميرها فى هذا العصر أعنى بعصر
تسع وتسعين وتسعمائة»^(١).

ولما توفى والده اجتمع أهل الحل والربط من أعيان فاس والجمهور من
جيوش والده على بيعته محتجين بأن والده استخلفه قيد حياته ومات فى حجره،
وكان ممن تصدى لبيعته قاضى الجماعة بلقاسم بن أبى النعيم، والقاضى أبو الحسن
على بن عمران السلاسى، والأستاذ أبو محمد الشاوى، والإمام النظار أبو عبد
الله محمد بن قاسم القصار، وكان الذى قام خطيبا فى القوم القاضى ابن أبى
النعيم قال فيما ألقاه: أما بعد السلام عليكم، فإن رسول الله ﷺ لما مات اجتمع
الناس على أبى بكر، ونحن قد مات مولانا أحمد وهذا ولده مولانا زيدان أولى
بالمك من إخوته، فبايعه الحاضرون وذلك يوم الاثنين سادس عشر ربيع الأول سنة
اثنتى عشرة وألف.

١٤٤ - من مصادر ترجمته: درة الحجال ١/٢٧٧، وموسوعة أعلام المغرب ٣/١٢٨٣.

(١) درة الحجال ١/٢٧٨.

ولما اتصل بأهل مراكش وفاة المنصور وكتب إليهم أهل فاس بمبايعتهم للمترجم امتنعوا وبائعوا أخاه أبا فارس وذلك يوم الجمعة أواخر ربيع الأول من السنة المذكورة.

ثم لما تمت البيعة الشرعية للمترجم بفاس بارحها ووجهته البلاد الحوزية لعلمه بما صدر من أهلها من شق عصا الطاعة، وإبابة الدخول فيما دخلت فيه الجماعة.

ولما علم أبو فارس بذلك جهز لقتاله جيشاً عرمرماً جراراً وألقى زمام رياسته لأخيه المأمون هكذا قال بعضهم، والذي فى نزهة الحادى أن أبا فارس أمر على الجيش ولده عبد المالك مع الباشا جؤذر، ثم إن بعض أهل الرأى من حاشيته أشار عليه بتسريح أخيه الشيخ وإسناد قيادة الجيوش إليه لمحبة الرعية فيه ولميلها له فلا يقاومونه ولا يقابلونه إلا بالسمع والطاعة، لأنه كان الخليفة عندهم.

فاستحسن الإشارة، وسرح الشيخ وأخذ عليه العهود والمواثيق على إبداء النصح وعدم شق العصا، ثم أوعز أبو فارس لخاصته من رؤساء الجيوش بالقبض على الشيخ إذا وقعت الكرة على المترجم، وانهزمت جيوشه، والشيخ لا يعلم بما دس له، فخرج يزحف فى جيوشه إلى أن التقى الجمعان بوادى أم الربيع بالموضع المعروف بحواتة، فكان النصر لجيوش أبى فارس وانهزم المترجم بسبب ما لحقه وجنوده من الحنو والحنان رعيًا لسالف عهده ووثوق رابطة إخوانه وإخلاص وداده القديم، ورجع القهقري إلى فاس وتحصن بها فاقتفى أثره الشيخ إذ لم يقدر أحد من أصحاب أبى فارس له على شىء.

ولما اتصل الخبر بالمترجم راود أهل فاس على القيام معه فى الحصار فأبوا وشقوا عصا الطاعة فى وجهه، وأعلنوا بنصر الشيخ والبيعة له، فخرج المترجم فى جيشه وأنقاله إلى تلمسان فأقام بها مدة، وبعث لترك الجزائر يستنصر بهم على

إخوته، ولما يئس من نصرتهم ذهب لسجلماسة فدخلها من غير قتال، ثم انتقل منها إلى درعة، ثم لسوس فكتب إليه أهل مراكش يستقدمونه ولو وحده فقدم عليهم ليلاً فأعلنوا بنصره، وقتلوا عبد الله أعراس عامل الشيخ وشبت حروب.

ثم لما اتصل الخبر بالشيخ بفاس اهتم لذلك واغتاط، وصار يضرب الأحماس في الأسداس، وأخذت الأنفة والحمية أهل فاس لما وقع بإخوانهم الذين كانوا بمراكش، فتعصبوا للشيخ وتحزبوا وتطوعوا بالمقاتلة، ولما رأى ذلك الشيخ هياً ولده عبد الله وعقد له على جيش لا يستهان به، فخرج قاصداً مراكش.

ولما بلغ الخبر زيدان وجه الباشا مصطفى بجيوش جرارة، ولما التقى الجمعان وقعت الكرة عليه، وقتل من جيشه نحو التسعة آلاف، وذلك بموضع يقال له تفلفلت على طريق سلا.

ثم توجه عبد الله في جيشه لمراكش منصوراً، فخرج إليه أهلها في ستة وثلاثين ألف مقاتل فالتقى الجمعان أيضاً بموضع يقال له رأس العين فهزم أهل مراكش، ودخل البلد عنوة، ففر المترجم إلى المعقل وشواحق الجبال وفعل عبد الله في مراكش أفعالا فظيعة، أنتجت له حنق الأمة عليه، وشق عصا الطاعة في وجهه فخرج من مراكش مهزوما مكسور الشوكة، وكتب أهل مراكش للمترجم يستقدمونه فقدم عليهم وقابل المسيئين بالإحسان وذلك آخر شوال عام ثمانية عشر وألف.

ثم بعث الباشا مصطفى لفاس وخيמת محلته بظاهر الزاوية واستولى على زروع أصحاب المأمون وفرقها في أصحابه.

وفي عام تسعة عشر وألف انتهز صاحب الترجمة الفرصة فاحتل مدينة تازا، وبعث قائده عبد الصمد لتسكين روعة أهل فاس والإعلان بنصره، ولما أمر بالنداء

بذلك قام فى وجهه بعض لصوص العدو وجرحه فكثرت الهرج والمرج وخاب مسعاه، ولما بلغ المترجم الخبر اشتد غيظه ونهض من تازا، وخيم على ضفة وادى فاس واستولى عليها وسبى^(١) أهلها وجذع بل هم بقتلهم ولكن الله عصم دماءهم.

وفى حادى عشر رجب من العام نزل عبد الله برأس المال، فخرج إليه صاحب الترجمة فهزم ومات من جنده نحو الخمسمائة، ولحق بمحلة كانت له بالدلاء، ودخل عبد الله فاسا.

ثم ثار أبو العباس أحمد بن أبى محلى الساورى وكان فى أول أمره فقيها صرفا ثم انتحل التصوف، وصار يصرح بأنه المهدي المنتظر، ثم دعا لنفسه وزعم أن السبب الداعى له لذلك تفاقم البدع وتكاثر المناكر وأنه بصدد الجهاد شأن كل ثائر فتان، فاستخف أفئدة العوام، إلى أن كان من أمره ما هو مسطور فى بطون التواريخ، فخرج على عامل المترجم على سجلماصة الحاج المير فهزمه ودخل سجلماصة.

ولما بلغت الهزيمة صاحب الترجمة عقد لأخيه عبد الله المدعو الزبدة على جيش جرار فلما علم به أبو محلى سار لدرعة وبها لحق به عبد الله، ولما التقى الجمعان كانت الهزيمة على جيوش صاحب الترجمة، وقويت شوكة أبى محل وملأت مهابته القلوب، وشاركت فى طاعته سجلماصة ودرعة ثم تشوفت نفسه لاحتلال مراكش فتوجه إليها.

ولما اتصل الخبر بصاحب الترجمة وجه جيشا للقاءه فهزم الجيش وفر زيدان لأسفى، وهم بالعبور لبلاد العدو ودخل أبو محلى مراكش.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «وسب أهلها».

ولما رأى المترجم من فشل ريحه ما أرى وعلم أنه لا طاقة له بمقاومة أبي محلى كتب للفقيه أبي زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد الحاجى ثم الداودى يستغيث به وهو بزاوية أبيه من جبل درن، وكان فى جملة ما كتب له: إن بيعتى فى أعناقكم وأنا بين أظهركم فيجب عليكم الذب عنى ومقاتلة من ناوأنى، فلبى أبو زكرياء نداءه وكانت له شهرة عظيمة بالقطر السوسى، فحشد الجنود من كل فوج، وخرج يؤم مراكش وذلك فى ثامن رمضان عام اثنين وعشرين وألف، ولما بلغ يمين فم تننت موضع على مرحلتين من مراكش كتب إليه أبو محلى ما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من أحمد بن عبد الله إلى يحيى بن عبد الله بلغنى أنك جندت وبندت، وفى يمين تنوت نزلت، اهبط إلى الوطا لينكشف بينى وبينك الغطاء، فالذيب ختال، والأسد جوال، والأيام لا تستقام، إلا بضرب القنا وقطع الحسام والسلام».

فأجابه بما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من يحيى بن عبد الله إلى أحمد بن عبد الله، أما بعد:

فليست الأيام لى ولك إنما هى للملك العلام، وقد أتيت لك بأهل البنادق الأحرار، من الشبانة ومن انتمى إليهم إلى بنى جرار، وأهل الشرور والبؤس، من هشتوكة إلى بنى كنسوس، فالوعد بينى وبينك جائز هناك حيث ينتقم الله من الظالم، ويتبين الدليل من العزيز والسلام».

ثم زحف يحيى لمراكش إلى أن نزل قرب جبل جليز المطل على مراكش فشب القتال وكانت أول رصاصة فى نحر أبي محلى فمزقت جنوده كل ممزق، ونهيت محلته وقطع رأسه وعلق فى رءوس من أصحابه على سور المدينة نحووا من

اثنى عشرة سنة، وحملت جثته فدفنت بروضة أبى العباس السبتي تحت المكتب المعلق هنالك على المسجد الجامع، وقد رمز لقتل أبى محلى وموته أبو العباس أحمد المديد المراكشى بقوله: (أقام طيشا، ومات كبشا) وهو من بديع التلميح وحسن التورية.

قال صاحب نزهة الحادى: زعم أصحابه أنه لم يمت، وحدثنى من أثق به أن أهل وادى الساوره إلى الآن فيهم من هو على هذا الاعتقاد.

ولما قتل أبو محلى دخل يحيى مراكش واستقر بدار الخلافة وألقى بها عصا تسياره، ورام أن يتخذها دار قراره، فكتب له المترجم قائلا: إن كنت جئت لنصرتى وكف يد ذلك الثائر عنى فقد أبلغت المراد، وشفيت الفؤاد، وإن كنت رمت جر النار لقرصك، وتجعل الملك من قنصك، فأقر الله عينك به، فتجهز يحيى للرجوع لوطنه وأظهر العفة عن الملك، وأنه إنما جاء ليدافع عن الملك الذى بيعته فى عنقه، وانقلب لبلاده ورجع صاحب الترجمة لمراكش:

مؤلفاته: منها تفسير القرآن المجيد اعتمد فيه على ابن عطية والكشاف.

شعره: من ذلك قوله:

أهلكتنا سـوالف وـخـدود	وعيون مدعجات رقود
ووجوه يبارك الله فيها	وشعور على المناكب سود
أهلكتنا الظبا ونحن أذلة	وخضعنا لها ونحن أسود

وقوله:

مررت بقبر رائق وسط روضة	عليه من النوار مثل النمارق
فقلت لمن هذا فقالوا بذلة	ترحم عليه إنه قبر عاشق

وفاته: توفي في المحرم فتح سنة سبع وثلاثين وألف ودفن بجانب قبر أبيه بروضتهم الشهيرة بالحاضرة المراكشية، قرأت في نقش رخامة قبره رحمه الله ما لفظه:

هذا ضريح من به تفتخر المفاخر زيدان سبط أحمد مبتكر المآثر
حامى حمى الدين بكل ذابل وباتر أجل من خاض الوغى وللأعدى باهر
لازال صوب رحمة الله عليه ماطر ومن شذا رضوانه نفحة كل عاطر
أرخ وفاة من غدا جارا لرب غافر بمقعد الصدق علا أبو المعالي الناصر

١٤٥ - زين العابدين السلطان بن السلطان مولانا إسماعيل الجد الأعظم.

حاله: فاضل زكى صبور حليم، راضى بما قدره الرحمن له، قال عنه رفيقه الإمام الثبت أبو العلاء إدريس بن محمد فتحا العراقى لما آب من رحلته معه لأداء فريضة الحج فيما تلقاه منه ونقله عنه ابن عمه الشريف العلامة مولاي الوليد بن العربى العراقى فى مؤلف له ونصه:

كان لمولاي زين العابدين، عقل رصين وكان معتنيا بدينه محافظا على الصلاة فى وقتها، وأنه منذ خرج من هنا إلى أن رجع ما تيمم قط، بل يتوضأ لكل صلاة من السفر، وشدة الحر والقر، وكان ذا خلق حسن، وسمت مستحسن، محبا لجانب الله تعالى، ومعظما لحرمة ذا همة عليّة، ونفس أبية.

اشترى جنانا بالمدينة المنورة على منورها الصلاة والسلام وحبسه، وهو من نخبة أولاد مولانا إسماعيل رحمه الله، فلذلك اختاره للبعث لذلك المقام الشريف، قال: وإن السلطان مولانا إسماعيل وجه العراقى المذكور برفقة ولده يعنى المترجم للحج بعد أن آخى بينهما وعاهدهما وقال لوالده: هات يدك وللشريف كذلك، وشبكهما وجعل يده فوق يديهما وقال هذا عهدك، وهذا

ولدى، وأنت ولدى وأوصاهما بما يجب من حسن المعاشرة والقيام بالحقوق، ودفع للمولى إدريس ياقوتة عظيمة يبلغها للروضة الكريمة على صاحبها الصلاة والسلام لتعلق هناك، وقد رأيتهما فما رأيت مثلها فى الصفاء والكبر وزنها رطل وست أواقى، وعليها شباك من ذهب مرصع باليواقيت، وجعل لها سلسلة لعلاقتها، وجعلت فى صندوق من الذهب سترة لها أهديت إليه من بلاد النصارى، وقد قومت بأربعة وعشرين قنطاراً من المال فوصلت وعلقت هنالك.

وكان لما سافر مرة أخرى قيل أعطاه ياقوتة وهى أصغر من الأولى قومت بأربعة عشر قنطاراً فى كل قنطار ألف مثقال، وهما للآن معلقتان بالروضة المباركة هـ ملفقا.

وقد كان المترجم عند موت والده مستقراً بسجلماسة، ثم لما قامت الفوضى بين العبيد وإخوته وامتدت أطنابها واشتدت شوكة العبيد وكثر الهرج والمرج، ولاسيما بين الإخوة المولى عبد الله والمولى المستضىء، وأبى عبد الله محمد بن عربية على ما سيمر بك فى تراجمهم إن شاء الله قدم المترجم لمكناسة من سجلماسة زائراً لا طامعاً فى الرياسة فلما حل بمكناسة اتفق أن كان الدور للمستضىء، فألقى عليه القبض وأودعه السجن ثمانية أشهر على ما فى الدر المنتخب، ثم أخرجه للمشور وأوجعه ضرباً أشرف به على التلف فصبر واحتسب ولم ينطق ببنت شفة، ثم رده للسجن ثم أمر بإخراجه وتوجيهه مقيداً لسجلماسة مع بعض المساجين من الأشراف للسجن بها.

فلما بلغ الخبر العبيد وجهوا من اقتفى أثره ليرده، فلحق به لصفرو فأزال قيده ووجه به لبنى يازغة للجلوس عند القائد أحمد القعيدى، وأوصاه به خيراً فأكرم وفادته وأنزله منزلاً رحباً ولم يزل عنده محل إجلال وتكريم إلى أن أعزل المستضىء، وبويع المولى عبد الله بيعته الثانية ففرح المترجم وابتهج بخلع الأول

وببيعة الثانى، وذهب من بنى يازغة لفاس وبقي به مدة ثم فى ثالث عشرى قعدة عام اثنين وخمسين ومائة وألف ذهب لمكناسة وبقي بها مدة، ثم ذهب إلى طنجة، وأقام عند الباشا أحمد الريفى فى شفوف مكانة.

وكان الباشا أحمد يعلم أن ذلك لا يستقر له وأنه لا بد له من شريف يستند إليه، وكان لا يحب مولاي عبد الله لسابق منافرة تقدمت بينهما أدت إلى قتل مولاي عبد الله من أتاه من أصحاب القائد المذكورة فسارع الريفى إلى نصر المترجم، وبايعه العبيد الذين كانوا معه على وفاق واتفقوا على قبض السلطان مولاي عبد الله وقتله فأوعز إليه بعضهم ما وقع تظافرهم عليه، فوجه لأمه خناثة بنت بكار فهربت لفاس الجديد ولما أصبح تبعها هو إلى أن نزل برأس الماء ثم إن العبيد كتبوا للباشا أحمد ووجهوا له جريدة من الخيل لتشجيع المترجم وخفارته إلى أن يحل بدار ملك أبيه ويتسنى أريكته، فأحضر الباشا المذكور القضاة من مدينة تطوان وطنجة والعرايش والقصر وشفشاون والعلماء وأعيان القبائل الفحصية والحيانية فى يوم مشهود، وعرض عليهم بيعة المترجم فبايعوه، وذلك فى أول يوم من ربيع الأول عام ثمانية وخمسين ومائة وألف ووصل الباشا الأشراف والعلماء والأيتام والأرامل الضعاف والجيش بصلات سنية، ووجه لعبيد مكناسة أهل الديوان حظهم من ذلك بمناسبة بيعة المترجم ثم توجه قاصداً مكناسة دار ملك أبيه فيمن جاء لخفارته وغيرهم من فرسان العبيد.

ولما دخلها حضر القاضى والفقهاء والأشراف وأهل الحل والإبرام من العبيد وبايعوه البيعة العامة وكتبوا ببيعته للآفاق ووفدت إليه الوفود من الخواضر والبوادي ما عدا الودايا وأهل فاس فإنهم كانوا شيعة مولاي عبد الله وكان دخوله لمكناس وجلوسه على أريكة الملك بها يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الثانى أحد شهور العام المذكور، ثم لما اتصل الخبر بذلك لمولاي عبد الله فر من رأس الماء إلى الجبال

البربرية وذلك يوم الثلاثاء تاسع جمادى الثانية، وأقام عندهم، أما صاحب الترجمة فقد أمر قواده ورءوس ديوانه بجمع الحركة لفاس فى تأخيرهم عن بيعته هم والودايا، فامثلوا أوامره وهيئوا الحركة وخيموا بها على مكناسة الزيتون يترقبون ما يصدر لهم من الأوامر، وفى منتصف جمادى الأولى خرج المترجم من مكناسة قاصداً حصار فاس فنزل بسيدى عميرة فى جيوش جرارة، وذلك يوم الثلاثاء الذى فر فيه أخوه مولاي عبد الله للبربر.

ومن الغد خيم بظاهر فاس ووقع الحرب على باب المسافرين بقنطرة ابن طاطوا، ودام القتال من الضحى إلى الزوال، واشتد الحال وعظمت الأهوال، وبقي الودايا وأهل فاس يموج بعضهم فى بعض، وبات الناس فى شدة عظيمة.

ومن الغد اختلفت كلمة العبيد ووقع بينهم التنازع الذى هو أصل الفشل والسبب فى ذهاب ريع النجح والفلاح، ورجعوا بالمترجم لمكناس بعد ان أحرقوا نوادر الودايا بالخميس، ولما حلت محلتهم بمكناسة عاثت ونهبت الأجنة وأكلت الثمار، وسعت فى الأرض الفساد، وفى ضحوة يوم الخميس خامس عشرى، جمادى المذكور رجع مولاي عبد الله من البربر، ودخل فاسا الجديد، فتلقاه أهلها والودايا بالترحاب والفرح المزد، ومن يومه خرج لدار الدبيغ وأقام بها، أما العبيد فقد ذهبوا لمشروع الرملة، وأقام المترجم بمكناسة ألعوبة بين يدى عبيدها تعبت به كيف شاءت لا حول له ولا قوة ولا قدرة على حل أو إبرام دون مشورتهم، والوقوف عند تنفيذ أوامره.

ولما جاءوا على ما كان بيده من المال بالخزائن ولم يبق لهم مال ينهبونه صمموا على عزله ومبايعة أخيه لما كان لديه من الأموال وألفوه منه من البذل إليهم، وفى ثالث عشر رمضان عام أربعة وخمسين ومائة وألف صرحوا بعزله

فبارح البلاد ناجيا بنفسه، وكانت مدة دولته نحو الخمسة أشهر نظراً لكون بيعته لم تتم إلا بعد حلوله مكناسة مستقر عرش مملكة أبيه.

بنائه: لم يحفظ التاريخ منها غير الباب الواقع فى جنوب بطحاء الهديم مشهور النسبة إليه لحد الآن، لا يعرف بغير باب زين العابدين اتصل بهذا الباب بين البطحاء المذكورة ومدينة الرياض العنبرى السالفة الذكر فيما قدمناه من البناءات الإسماعيلية تلك المدينة العظيمة الشأن التى كان أسسها والده لصدور دولته وعظماء مملكته التى أحدث فيها الآن بناء دور اليهود وأعطى اسم الملاح.

١٤٦ - زكرياء الفران أبو يحيى:

حاله: فقيه صابر، منور الظاهر والباطن، مواظب على تلاوة القرآن، من رجال مكناسة الزيتون، وفضلاء خيار عبادها، حسن اللقاء، كثير البشاشة، مسترسل الطلاقة والبشر، دائم القبول، متصل اللهجة، جميل التعطف، واسع الصدر على سجية أهل الفضل والدين أمثاله، يحدث عن سيره فى عبادته واجتهاداته وتصرفه وورعه فى كسبه وتحفظه على أمر دينه من باشره ما تقر به أعين الأولياء، ويعز وجوده فى زمانه، وكذلك كثر التحدث على إثارة غيره على نفسه بما يكون لديه، وعن اشتغاله بطهارة قلبه وعما ظهر على محله من علامة توفيقه، والله تعالى يمين على من يشاء من عباده بفضله ورحمته. قال الحضرمي فى غالب الظن: إنه من أهل القرن الثامن من العشرة السابعة منه.

١٤٧- زيدان أبو محمد سيدنا الجد ابن فخر الملوك العظام، مولاة إسماعيل

ابن الشريف بن على الحسنى السجلماسى.

حاله: بطل شجاع مقدم قوى الجنان أعرف بنى أبيه بالكر والفر، وأمهرهم فروسة، ذو نجدة وجد وحزم وعزم وهمة أبيه، ونفس عليّة، وأخلاق حميدة

مرضية، وشفقة وحنان، وميل لجانب الله، محب في الصالحين، موال لهم، منحاش لأهل الفضل والدين، صلب في دينه، مؤتمر بأوامر والده.

ولما بلغ أشده وظهرت نجابته استخلفه والده على مكناس كما في الترجمان العرب، وقيل: إنه استخلفه بفاس، والأول أصح وذلك عام اثنين ومائة وألف، وعقد له على جيش أهل فاس، ووجهه إلى الترك حيث بلغه أنهم تعدوا الحدود وأضرروا بالمجاورين لهم من إيالته المغربية، ثم بدا لوالده اللحق به فلحق بأطراف المغرب الأوسط، وأبرم الصلح مع الأتراك ورجع لحضرته السلطانية.

وقيل: إن الذى تولى عقد الصلح مع الأتراك هو أبو عبد الله محمد بن الطبيب الفاسى اختاره السلطان المولى إسماعيل لقضاء هذه المهمة لعلمه وحذقه ونباهته، وفى ربيع سنة ست ومائة وألف خرج المترجم فى عسكر جرار تتلاطم أموجه إلى ناحية تلمسان، بعد أن قتل النائب بفاس أبا العباس أحمد السلاوى، فقاتل الترك ونال منهم، ورجع وفى سنة إحدى عشرة ومائة وألف نقل من ولاية مكناسة كما فى الترجمان.

وولى على بلاد الشرك، فكان يغير على بلاد الترك إلى أن شردهم عن نواحي تلمسان أخذًا بالثار منهم، وانتهى فى بعض أيام غاراته إلى مدينة معسكر فاقتحمها واستولى على دار أميرها عثمان باى وأخذ جميع ما فيها من الذخائر والأمتعة، وعثمان إذ ذاك غائب فلم يرض ذلك والده للصلح الذى كان أبرمه مع السلطان مصطفى العثمانى، ولذلك عزله عن البلاد الشريكة، وولى مكانه أخاه المولى حفيد.

وفى سنة ثلاث عشرة ومائة وألف عين من قبل والده خليفة على فاس، وبعث معه حمدون الروسى عاملا عليها.

وفى سنة أربع عشرة ومائة وألف وجهه والده لقتال أخيه المولى محمد العالم الذى ثار بالبلاد السوسية ودعا لنفسه واقتحم مراکش ودخلها عنوة، فسار فى عساكر ذات بال، ولما وصل مراکش وجد المولى محمداً بارحها وعاد لتارودانت، فاقتفى أثره إلى أن خيم على تارودانت وشبت الحرب بينهما ودامت وتسعرت نيرانها إلى أن كان الظفر للمترجم، فاستولى على تارودانت وقبض على أخيه المولى محمد ووجهه لوالده ومكث خليفة بتارودانت إلى أن وافته منيته فيها.

شعره: من ذلك قوله حسبما نسب له العلامة الثبت مولاي عبد السلام بن سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل السلطان الجليل ومن خطه نقلت:

لم أنس يوماً زارنى قمرى	فكمل الأنس به إذ جلس
قبلت منه الخد مختلسا	وإنما العيش الشهى خلس
وملت للثغر على غرة	منه فما أطيب ذاك اللعس
فجادلى بالريق حيث درى	أنى عليل لا أطيق النفس
وبت نشوانا بعافية	أغتتم الفرصة عند الغلس
وقوله:	

أنتك على رغم الرقيب حمائلى	وهى بأسباب الوصال وسائلى
فدونك فاختر ما يزينك لونه	وزرنى ولا يشغلك عذل العواذل
على أن سيف اللحظ أمضى من الذى	أناك فكن يامنيتى خير واصل

وفاته: توفى بتارودانت عام تسعة عشر ومائة وألف، وحمل فى تابوت إلى مكناسة فدفن ليلاً إلى جنب أخيه المولى محمد العالم، هكذا قال الزيانى ومن تبعه، وعندى أن ذلك وهم لا يكاد يصح إذ فى سنة سبع وثلاثين كان لازال حيا يرزق قطعاً فى منتصف رمضان منه.

إذ فى التاريخ المذكور أوقع والده السلطان مولانا إسماعيل محالفة بين المترجم وبين أخيه مولاي أحمد الذهبى ، وعقد المحالفة والمؤاخاه عندى شهد عليه على إشهد والدهما ، وهو بكرسى ملكه ، وعلى أبى العباس الذهبى المذكور بما فيه عنه العدول والفقهاء والقضاة فمنهم عبد الله تعالى الشريف بن أحمد بن محمد ابن عمر الحسنى ، وأبو العباس أحمد بن سعيد العميرى ، وأبو عبد الله محمد بن ذكرى وأبو القاسم بن سعيد العميرى ، وأبو الحسن على بن سعيد العميرى ، ومحمد بن الشرقى فى آخرين .
